سـيـــــرة شجـــــرة الـــدر

م. إخلاص عباس عيدان
معهد اعداد المعلمين / رصافة الاولى

المقدمة

تعد شجرة الدر من الشخصيات المهمة التي تولت الحكم على عرش مصر في مطلع العصر المملوكي بالرغم من انها تنتمي الى عصر لا يسمح للمرأة بأن تعتلي سدة الحكم ، ويعد حكمها مرحلة انتقال بين الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية ، وقد تناولت في المبحث الاول حياتها والذي تضمن اسمها وكنيتها ، نسبها ، صفاتها ، سيرتها ، وادت شجرة الدر دورا مهما في الحياة السياسية في الدولة المملوكية وقد عرجت في المبحث الثاني على دورها في أمور الحرب ، المبايعة والمعارضة لشجرة الدر ، تنازلها عن العرش ، الصراع بين السلطان ايبك والايوبيين على السلطة ، مقتل المعز أيبك ، ومن ثم مقتل شجرة الدر وقد ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت اليها .

المبحث الاول

حياتها

اسمها وكنيتها

اختلف المؤرخون حول اسمها فذهب بعضهم إلى أنها شجر الدر[٢] وذهب البعض الآخر إلى أنها شجرة الدر بنت عبد الله [٣] ولكن القول الأرجح والصحيح هو القــول الأخيــر والذي اتفقت عليه أكثــر المصـــادر وتكنى بعصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية[٤] .

نسبها

اتفق المؤرخون على أنها كانت أرمينية الأصل وقيل تركية [٥] .

صفاتها

تميزت أم خليل الصالحية بأنها كانت بديعة الجمال ذات رأي وتدبير ودهاء وعقل فضلا عن أنها كانت أشهر النساء الحاكمات في العصور الإسلامية [٦] .

سيرتها

أكد أصحاب التراجم إلى أن شجرة الدر كانت جارية اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب في أيام أبيه وحظيت بمكانة عظيمة عنده ، فولدت له ابنه خليل الذي

توفي وهو صغيرا فاعتقها وتزوجها ونالت من السعادة ما لم يناله أحد في زمانها فأحبها الملك الصالح [٧] .

ويعد الملك الصالح أول أزواج شجرة الدر وهو السلطان الكبير نجم الدين أيوب وهو ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن الأمير نجم الدين بن شادي الأيوبي من كبار الملوك الأيوبيين تولى حكم الدولة الأيوبية في مصر والشام في أيام والده الملك العادل سنة ٦٢٤هـ ، ونشأ بالقاهرة وولي بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧هـ

وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا ، عمر بمصر ما لم يعمره احد من ملوك بني أيوب . وفي أواخر حياته أغار الإفرنج على دمياط سنة ٦٤٧هـ واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد وكان الصالح غائبا في دمشق فقدم ونزل إمام الإفرنج وهو مريض فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة ومن آثاره قلعة الروضة بالقاهرة [٨] .

وبعد موت الملك الصالح تم تولى الحكم ولده تورنشاه ، ولكن ما لبث إن قتل وبويعت شجرة الدر من قبل المماليك فلقيت معارضة من قبل الخليفة العباسي في مصر فاختار المماليك الملك المعز زوجا لها فكان السلطان المعز عز الدين أيبك[٩] بن عبد الله ألصالحي ألنجمي المعروف بالتركماني[١٠] أول ملوك الترك بالديار المصرية أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة والده الملك الكامل محمد ولازم أستاذه الملك الصالح في الشرق حتى جعله جاشنكيره [١١].

المبحث الثاني

دورها في أمور الحرب

وما إن استتب الحكم للملك الصالح نجم الدين أيوب على عرش مصر حتى أخذ على عاتقه المحافظة على عرش السلطة من الطامعين فيه لذلك بذل جهودا كبيرة من أجل تعزيز نفوذه فبنى قلعة الروضة من أجل إعداد المماليك وجعلهم القوة العسكرية الضاربة كي يستطيع من خلالهم تثبيت دعائم عرشه في مصر .

ونبغ من بين أولئك المماليك الذين استكثر منهم الصالح نجم الدين أيوب شراءهم وكان لهم اكبر الأثر في تغيير مجرى السياسة المصرية ومن أهمهم شجرة الدر وهي المرأة التي برزت شخصيتها على مسرح الصراع السياسي حول السلطة وقد ظهرت شجرة الدر في الأحداث

السياسية منذ عهد زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب حيث رافقته في كل رحلاته وحملاته وصراعاته حول عرش سلطنته مع إفراد البيت الأيوبي [١٢] .

عاشت شجرة الدر في ظل زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب ملكة غير متوجه فقد كانت تلك المرأة تدبر أمور البلاد في حياة زوجها الملك الصالح ، وذكر ابن تغري بردي ذلك بقوله : (ولا زالت شجرة الدر في عظمتها من الحشم والخدم واليها غالب تدبير الديار المصرية في حياة سيدها الملك الصالح) [١٣] .

ويتضح لنا بان شجرة الدر استطاعت أن تفرض نفوذها حتى على زوجها الملك الصالح دون أن تشعر أحدا بمقدار ذلك النفوذ الذي كانت تمتلكه مع وجود شخصية قوية ألا وهي شخصية الملك الصالح نجم الدين أيوب .

ومن هما بدأت الأحداث السياسية تفتح الطريق أمام دخول شجرة الدر معترك الصراع السياسي حول السلطة ، فقد بدأت الأحداث بالهجمة الصليبية سنة ٦٤٧هـ فوصلوا إلى دمياط[١٤] إثناء انشغال الملك الصالح نجم الدين أيوب بالدفاع عن المنصورة [١٥] ، التي وصل الصليبيون إلى بعض أنحائها وقع الملك الصالح مريضا ولم يلبث أن توفي بعد مرض عضال[١٦] .

مات الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٧هـ والحرب دائرة بين المسلمين والصليبيين فوقفت شجرة الدر موقفا رائعا فأخفت حزنها وقدمت مصلحة البلاد وذلك بإدراكها خطورة الموقف فأخفت على الناس خبر موته وأمرت بحمل جثته سرا إلى قلعة الروضة بالقاهرة ، وأمرت الأطباء أن يدخلوا إلى حجرته كعادتهم وأن تدخل الأدوية والطعام كما كان حيا واستمرت الاوراق الرسمية تخرج كل يوم وعليها **ختم السلطان** [١٧] .

بادرت شجرة الدر في تلك الأوضاع إلى مقابلة كل من الأمير فخر الدين يونس بن شيخ الشيوخ وجمال الدين محسن الطواشي زعيم الصالحية والبحرية وهم حراس الملك الصالح من المماليك البحرية اللذين كانا من الأمراء البارزين فأخبرتهما نبأ وفاة السلطان وأمرت بإخفاء الخبر[١٨]

وتولت ترتيب أمور الدولة والجيش ومن ثم أرسلت إلى توران شاه ابن الصالح أيوب تحثه على القدوم ومغادرة حصن كيفا [١٩]، إلى مصر ليتولى السلطة بعد أبيه[٢٠] .

وخلال تلك الفترة استطاعت شجرة الدر أن تمسك بزمام الأمور وتقود البلاد وسط الصراعات التي شهدتها تلك الظروف ونجح الجيش المصري في رد العدوان الصليبي وألحق خسائر فادحة بالصليبيين وحفظت السلطة حتى تسلمها تورانشاه[٢١] بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر وآخرهم وثالث من سمي الملك المعظم كانت إقامته في حصن كيفا نائبا عن أبيه وعند موت أبيه سنة ٦٤٧هـ كتمت شجرة الدر موته واستدعته فجاء إلى مصر والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب المنصورة فلبس خلعة السلطان وقاتل الإفرنج فهزمهم واسترد دمياط ثم تنكر لشجرة الدر بدلا من أن يحفظ لها جميلها بعث بتهديدها ويطالبها بمال أبيه ، وكانت تجيبه بأنها أنفقته في شؤون الحرب وتدبير أمور الدولة ،وفضلا عن ذلك لم يكتف بتهديد شجرة الدر، بل امتدت يده لتنال المماليك البحرية التي كانت لهم الفضل في تحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بالحملة الصليبية السابعة ، فبدأ يفكر بالتخلص منهم ولكن كانوا هم أسرع منه فاستطاعوا إن يتخلصوا منه على يد أقطاي فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه وكانت مدة سلطته ٤٠ يوما لم يدخل فيها القاهرة ولم يجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وبمقتله انقرضت دولة بني أيوب بمصر بعد حكم دام ٨٦ سنة [٢٢] .

المبايعة والمعارضة لشجرة الدر على السلطة

بمقتل تورانشاه من قبل القادة المماليك وجدوا أنفسهم في حيرة من أمرهم حيث أن المتطلعين لهذا المنصب من قادة المماليك كثيرون ولملك الأيوبيين في الشام لم يكن من السهل أن يتقبلوا جلوس مملوك على عرش مصر لهذا قرروا أن يولوا شجرة الدر[٢٣] .

نصبت شجرة الدر سلطانها على مصر في الثالث من صفر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م في ذروة احتفال مصر بهزيمة ملك فرنسا في حملته الصليبية السابعة ومغادرتهم لدمياط ولقبوها باسم ((الملكة عصمة الدين شجرة الدر والستر العالي والدة خليل)).

وكان الخطباء يدعون لها على المنابر وكانت علامتها والدة خليل كما نص الدعاء لها (أحفظ اللهم الجهة العالية الصالحية ملكة المسلمين ، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح) [٢٤] ، كما نقشوا على السكة (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة خليل أمير المؤمنين)[٢٥] .

وما إن جلست شجرة الدر على العرش حتى استطاعت القبض على زمام الأمور وأحكمت إدارة شؤون البلاد وكان أول عمل اهتمت به هو تصفية الوجود الصليبي في البلاد

وإدارة مفاوضات مع الصليبيين انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع الذي كان أسيرا بالمنصورة على تسليم دمياط وإخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة مع تعهد بعدم العودة إلى سواحل البلاد الإسلامية مرة أخرى [٢٦] .

لم تنعم شجرة الدر كثيرا بملكها على الرغم ما أبدته من مهارة وحزم في إدارة شؤون الدولة وتقربها إلى العامة وإعطائها الأموال والاقطاعات على كبار الأمراء ، فسرعان ما اضطربت الأمور في مصر عامة والقاهرة خاصة وذلك احتجاجا على جلوس امرأة على عرش البلاد وعمت الفوضى مما اضطر شجرة الدر إلى إغلاق أبوابها منعا لانتشار خبر هذه الاضطرابات ، ومما زاد من خطورة هذا الوضع انضمام علماء المسلمين الى العامة وعلى رأسهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٢٧] ، الذي كتب كتابا حول ما قد يبتلى به المسلمون بولاية امرأة ، كما لم يوافق الخليفة العباسي على توليتها السلطة قائلا في رده على رسالة المماليك يطلبون فيها تأييده لحكمها ((إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير لكم رجلا))[٢٨].

تنازلها عن عرش السلطة

لم تجد شجرة الدر إزاء هذه المعارضة الشديدة التي لاقتها إلا أن تعقد مجلسا للاستشارة من جديد وطلبت المساعدة من الوزراء والأمراء في خضم هذا الوضع المهم الحساس وقد وجد أمراء المماليك انه من أجل المحافظة على الأمن وبالرغم من أنهم راضون عن ملكتهم فمن الأفضل أن تتخلى شجرة الدر عن العرش [٢٩] .

وعند ذلك رأى المماليك البحرية الصالحية المؤيدون لشجرة الدر من انه لا بد من حل لهذه المشكلة وقالوا : ((لا يمكننا حفظ البلاد والملك لامرأة ولا بد من إقامة رجل للمملكة تجتمع الكلمة عليه)) [٣٠] ، وزاد من اقتناعهم بهذا الرأي خوفهم من خطر الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب[٣١] .

وفي ظل تلك الظروف سارع الأمراء المماليك إلى تزويج شجرة الدر من الأتابك عز الدين أيبك التركماني أتابك العسكر وتنازلت له عن السلطة بعد

ثمانيـــــــن يومـــــا من حكمها فأصبح معز الدين أيبك سلطانا ولو بالإسم حيث أن شجرة الدر كانت مسؤولة عنه في كل أحواله وليس له معها كلام [٣٢] .

وهكذا تنازلت شجرة الدر عن العرش مكرهة وذلك لإرضاء الخليفة العباسي وإبقاء الأمراء على ملكتهم التي يحبونها في الحكم فقد زوجوها من أيبك ثم اعترفوا بأيبك سلطانا لمصر [٣٣] .

ومع اعتلاء المعز أيبك (٦٤٨هـ ـــــــ٦٥٥هـ) أجريت مراسيم السلطنة لأيبك وفتحت رايات الحكم واصطف الأمراء إلى جانب أيبك وألبس الخلعة التي هي علامة السلطنة وأركب الخيل ثم جلس على العرش في قلعة الجبل[٣٤] وتلقب بالملك المعز على غرار السلاطين الآخرين [٣٥] .

وقد أخبر الخليفة العباسي بارتقاء السلطان الجديد على العرش بالرسالة التي أرسلت إليه ولكن لم يحدث تغيير في حكم شجرة الدر الفعلي لأنها ظلت بعد زواجها ممسكة بأمور الدولة ، وكان اختيار المماليك للمعز لهذا المنصب لأعتقادهم بضعفه مقارنة باقطاي وبيبرس وانه من السهل عليهم عزله متى شاءوا [٣٦] .

الصراع بين السلطان أيبك والأيوبيين

واجه عهد أيبك عدة عقبات ومنها أن بعض المماليك البحرية كانوا يعتقدون بحق الأيوبيين الشرعي في عرش البلاد فلم يرضوا عن سلطنة ايبك ولم يقبلوا أن يكون للمماليك حكم وادي النيل[٣٧]

وعلى ذلك اتفق بعض أمراء المماليك بزعامة فارس الدين اقطاي سنة ٦٤٨هـ على إقامة سلطان أخر من بني أيوب فاستدعوا الناصر صلاح الدين أيوب-[٣٨] بن الملك المسعود صاحب اليمن إذ بايعوه بالسلطة ولقبوه بالملك الأشرف [٣٩].

وعلى هذا أصبح الناصر صلاح الدين شريكا في السلطنة حتى قويت شوكة أيبك بانضمام عدد كبير من المماليك إليه فانتهز فرصة ازدياد خطر التتار في بلاد الشام وتهديدهم مصر سنة ٦٤٨هـ وقطع إسم الأشرف من الخطبة وسجنه بقلعة الجبل ، وعليه فقد كان الأشرف أخر ملوك بني أيوب في مصر ولم تقم للأيوبيين بعد ذلك قائمة على الرغم من المحاولات التي حاولها كثير من الأيوبيين في سبيل الوصول إلى عرش مصر وإحياء الدولة الأيوبية فيها [٤٠] .

وذكر المؤرخون إلى حدوث حرب بين الناصر وأيبك وكان النصر في البداية حليف الناصر فاخذ الأيوبيون يتعقبونهم ولكن سرعان ما تغير مسير الحرب عندما بدأت القوات الأيوبية التي

كانت على أبواب القاهرة في بادئ الأمر تهرب بعد مدة بصورة غير منتظمة وبشكل وحدات متفرقة .

وأخيرا تمكن أيبك بمساعدة اقطاي من التغلب على الناصر ولكن عند وصوله إلى القاهرة وجد الذين هربوا في أثناء خسارته الأولى قد أوصلوا الخبر الى القاهرة كما إن سكان القاهرة لم يتأخروا في إنهاء سلطنته فاستخدم أيبك القسوة مع أهل مصر حتى تم تعذيبهم وقتلهم حتى فاقوا الصليبيين في أعمالهم تلك (٤١) .

وبعد هذه الإحداث أصبح اقطاي احد قادة المماليك من الشخصيات البارزة وطلب الإقامة في القلعة مع زوجته ولكن المعز أيبك أحس بالقلق من شأنه خاصة بأنه هو الذي ساعد على إقامة الناصر في السلطنة مع أيبك فضلا عن أن تصرفات اقطاي أشعرت السلطان أيبك أن لا سلطان له عليه وكأنه هو السلطان .

ولما اشتد تعسف اقطاي ومماليكه وتجرؤا على السلطان أيبك حتى انه قد بعث إلى اقطاي بالحضور إليه للتشاور في مهام الدولة فأغلق الباب ومنع الدخول عليه حتى أمر به فقتل وعلى اثر ذلك هرب أنصار اقطاي (٤٢) .

وعلى هذا لم تكن شجرة الدر بعيدة عن الأحداث وخاصة أنها ساعدت على قتل تورانشاه من قبل فيمكن أن نأخذ بنظر الأعتبار أن كل ما كان يجري بقلعة الجبل فان شجرة الدر كانت على علم به قبل حدوثه وخاصة أنها لم تكن تحبذ اقطاي هذا بسبب طموحاته نحو السلطة لذلك اتفقا على قتله .

وبعد قتل اقطاي عاد الهدوء في البلاد واستطاع أيبك أن يسيطر على زمام الأمور وبدأت الخطب تقرأ باسمه إلى جانب شجرة الدر فضلا عن ظهور اسمه على النقود ولكن شجرة الدر لم تترك الحكم بالرغم من تنازله عن العرش(٤٣).

<u>مقتل المعز أيبك</u>

لقد كان أيبك معجبا بدهاء شجرة الدر وقابليتها على الحكم منذ أن كان مملوكا للملك الصالح فكان يرى فيها أستاذا ومرشدا ولكنه بعد إن قضى على معارضة فارس الدين أقطاي وعلى الملك الأشرف الناصر شريكه في السلطة فقد بدأت آراء شجرة الدر تزعجه تدريجيا لا سيما بعد أن طلبت منه ان يطلق زوجته السابقة بكل إصرار وبعد أن منعت أيبك من رؤية زوجته وابنه وبدأت الروابط التي كانت تربطهما تضعف بسرعة (٤٤).

بدأت الأمور تؤثر في فعالية الخلاف الذي وقع بين شجرة الدر وأيبك فكان كل واحد منهما يريد التخلص من الآخر فعمل أيبك من أجل القضاء على نفوذها في القلعة فقد طلب الزواج من ابنة حاكم الموصل وتم الاتفاق على ذلك(٤٥)، وعليه فأن أيبك لم يكن يعلم ما كان يتدبر إليه في القصر وكان يعتقد بأنه إذا تزوج من ابنة حاكم الموصل سوف يتمكن من التخلص من شجرة الدر ، وفي ثكنات المماليك وبالرغم من أن أيبك كان شجاعا ولكن كان ينقصه الدهاء لان المماليك كانوا يميلون إلى شجرة الدر فضلا عن ثقتهم بها .

استطاعت شجرة الدر أن تحصل على اعلى المراتب لم تتحمل من الناحية العاطفية والسياسية بأن يقوم زوجها أيبك بالزواج من غيرها وخاصة أنها تنتسب إلى سلالة حاكمة مما أدى إلى نمو روح الانتقام فضلا عن خوفها منه في المبادرة إلى قتلها (٤٦).

بدأت شجرة الدر بتنفيذ مخططها لقتل زوجها قبل أن يبادر هو بقتلها فأرسلت الهدايا الى صاحب حلب الذي اشتهر بكرهه الشديد للمعز أيبك وأرسلت إليه تخبره بانها عازمة على قتله وأنه إذا قبل الزواج منها ستجلسه على عرش مصر لكن الملك الناصر صاحب حلب لم يرد على شجرة الدر خوفا من أن يكون هذا الخبر فخا للإطاحة به (٤٧) .

غير أن شجرة الدر لم تستلم الرد من صاحب حلب فعملت على تنفيذ مخططها إلى قتل أيبك فأرسلت إليه بالقدوم إلى قلعة الجبل فوثق بها وحضر وأظهرت له عاطفة كبيرة من أجل أن يمسح عن ذهنه التصرفات التي قامت بها أمامه سابقا ، فعندما دخل أيبك الحمام ليغتسل أوثب عليه الخدم فرموه وخنقوه بالرغم من انه استنجد بها فلم يتركه الخدم خوفا على أنفسهم (٤٨)، فشعرت شجرة الدر بأنها ستلقى صعوبات من إيجاد مرشح لهذا العرش .

أرسلت شجرة الدر الى أحد أمراء حلب الأمير الكبير عز الدين الحلبي أحد أمراء حلب وكان ينتمي إلى البيت الأيوبي في بلاد الشام إصبع وخاتم زوجها وعرضت عليه أن يستلم إدارة السلطنة ولكنه رفض ، كما استدعت أحد أمراء الصالحية وعرضت عليه أيضا العرش وقد رفض أيضا ، وكان سبب رفضهم جميعا هو معرفتهم بمقدار الدهاء والمكر الذي تحمله سيدة القصر المملوكي فضلا عن أنها كانت على استعداد لفعل أي شيء وصولا لغايتها فضلا عن أنهم شعروا بأن هناك أمرا مريبا قد يدبر ضدهم وربما يكون تحايلا عليهم من شجرة الدر يدبر ضدهم للقضاء عليهم لذلك تركوا تلك المرأة تتحمل وحدها مسؤولية قتل زوجها .

وسرعان ما علم أتباع المعز من المماليك المعزية أمر مقتل السلطان وشاع الخبر في كل أنحاء القاهرة وعمت الفوضى إرجاء البلاد إلا أن المماليك المعزية تداركوا الأمر وعملوا على تنصيب علي بن أيبك ٦٥٥هـ سلطانا جديدا على عرش البلاد وعندئذ هدأت الأوضاع في البلاد مع تولي علي بن أيبك سلطنة مصر(٤٩) .

مقتل شجرة الدر

ذكر المؤرخون أن وفاة شجرة الدر كانت في سنة ٦٥٥هـ بعد أن القي القبض عليها من قبل المماليك العزية ولم يستطيع المماليك الصالحية المؤيدون لشجرة الدر منعهم من ذلك وتم إرسالها إلى قلعة الجبل الأحمر التي تقع في قلعة الجبل وهو سجن خصص لسجن كبار الأمراء والسلاطين وبقيت مسجونة لفترة حتى أمر السلطان علي بن المعز وبأمر من والدته بإحضارها الى بيتها وعملت والدة السلطان الجديد بمشاركة ولدها السلطان وجواريها على قتل شجرة الدر بنفس الطريقة التي قتلت بها زوجها المعز كما قتل المماليك المعزية كل من شارك شجرة الدر جريمتها في قتل أيبك ، ثم نقلت الى تربة بالقرب من قبر الست نفيسة (٥٠) .

الخاتمة

من خلال دراستي للبحث الموسوم (شجرة الدر) استطعت أن أصل إلى العديد من النتائج فضلا عن إثبات الحقائق التي تميزت بها تلك المرأة ومنها :

ـ دخول المرأة معترك الحياة السياسية ومزاحمة السلاطين في صراعاتهم حول السلطة متمثلة بصراع شجرة الدر حول عرس السلطنة .

ـ استفادت شجرة الدر من خلال مرافقتها لزوجها والحياة السياسية التي كانت مفعمة بالصراعات والأهوال والمحن حول عرش السلطنة الشيء الذي زاد من مكر شجرة الدر ودهائها السياسي .

ـ لم تعلن شجرة الدر موت الصالح في الفترة الحرجة من تاريخ مصر بسبب الخطر المحدق بالمسلمين ورحى الحرب دائرة بين المسلمين والصليبيين وهذا يدل على حنكة شجرة الدر في الحروب لأن ذلك سيؤدي الى تضعيف معنويات الجند مما يؤثر على سير المعركة .

ـ ان مقتل تورانشاه جاء نتيجة الصراع على السلطة بينه وبين شجرة الدر ونجحت فيما دبرته من مؤامرات ونفذتها على يد المماليك البحرية فكانت تلك المؤامرة قد فتحت باب القتل أمام المماليك للإطاحة بخصومهم وصولا لتحقيق غاياتهم في تولي عرش السلطنة .

ـ إن رفض الخليفة العباسي لشجرة الدر في جلوسها على العرش وذلك لوجود أمراء من الأيوبيين في كل من دمشق وحلب واليمن مما يؤدي إلى تكوين مؤسسة لعرش جديد في مصر فضلا عن حقد مؤيدي تورانشاه والأمراء الشاميين اتخذ طابعا معاديا بشدة لحكم شجرة الدر .

ـ يمكن أن يوصف حكم شجرة الدر بأنه حكما غير شرعيا وذلك لعدة أسباب منها أن وصلت إلى السلطنة بمؤامرة دبرت ضد تورانشاه الذي كان الحاكم الفعلي من جهة ومن جهة أخرى أن شجرة الدر اعتلت السلطنة دون أن تحظى برضا الخلافة العباسية في بغداد إلى جانب أنها لم ترتدي خلعة السلطنة التي تعد من أولويات السلطان ولم تركب الخيل وتسير به بالاستعراض الذي يقوم به أي سلطان يتولى حكم البلاد أمام الجند والأمراء وبذلك يعد حكم شجرة الدر حكما فاقدا للشرعية الحقيقية في تولي الحكم .

ـ اختيار الأمير المعز أيبك سلطانا من قبل المماليك لم يكن أقواهم ولكن كونه من أواسط الأمراء وليس من أعيانهم حتى تقتضي مصلحتهم صرفه عن العرش بسهولة لضعف شأنه ونفوذه .

ـ لقد أظهر المعز أيبك في أول تمرد يواجهه حكمه في مصر سياسة الشدة والتعسف وسفك الدماء كوسيلة للتخلص من أي منافس له في حكم البلاد وهذه السياسة التي امتدت لتشمل العامة الذين أظهروا عدم الرضا لحكم المماليك .

الهوامش

(١) نسبة الى مقرهم في جزيرة الروضة على نهر النيل حيث استطاعت هذه الجماعة فيما بعد بقيادة بيبرس واقطاي وقطز أن تكون قوة عسكرية عملت مع أمرائها في البداية تثبيت سلطان سيدهم نجم الدين الأيوبي ثم حولوا ولاءهم إلى رؤوساء تنظيمهم مستغلين ضعف الأيوبيين والقضاء على أخر سلاطينهم نوران شاه وتأسيس الدولة المملوكية الأولى المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق : محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، ط١، مكتبة مدبولي ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .ج٢/ص٢٣٧

(٢) المقريزي: ، السلوك لمعرفة دولة المماليك ، تحقيق ":مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٩٣٦م ج١/ص٤٠٤، السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٨هـ/١٩٦٧م ج٢/ص٣٦.

[٣]– ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ /١٤٤٣م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، علق عليه :محمد حسين شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ج٦/ص٣٣٢

[٤] الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، العبر في خبر من غبر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ،بيروت ــ لبنان ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ج٣/ص٢٧٦. السيوطي : حسن المحاضرة ج٢/ص٣٦، الزركلي : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ، ٢٠٠٢م ج٣،ص١٥٨.

[٥] الذهبي:العبر ج٣/ص٢٧٦، اليافعي : أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني ت٧٦٨هـ /١٣٦٦م ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : خليل المنصور ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧، ج٤/ص١٣٧، المقريزي: السلوك ج١/ص٤٠٤.

[٦] الذهبي :العبر ج٣/ص٢٧٦، ألصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ /١٣٦٣م، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠.ج١٦/٧٠.

[٧] الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٦/ص٧٠، الزركلي : الاعلام ج٣/ص١٥٨

[٨] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، حققه د.بشار عواد معروف ، د.محي هلال السرحان ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .ج٢٣/ص١٨٧ــ١٩٢، ابن شداد : عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، الاعلاق

١٢

الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق: يحيى زكريا عبادة ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ج٢/ص٤٢٧، الزركلي :الإعلام ج٢/ص٣٨.

[٩] وهذا الاسم مركب من لفظتين تركيتين وهما (أي) وبك) ومعنى أولهما القمر ومرادف الثانية في العربية لفظ الأمير السلوك : المقريزي ٣٦٨/١، النجوم الزاهرة ٣/٧

[١٠] التركماني : نسبة الى أحد أمراء بني رسول الذين استقلوا باليمن وكانوا قد عملوا في خدمة بني أيوب بمصر وقد عرفوا خطأ بالتركماني مع أنهم عرب غسانية ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٧/ص٤

[١١] وهو الذي يتحدث في أمر السماط مع الاستادار ويتذوق الطعام والشراب قبل السلطان خوفا من ان يدس فيه سم أو نحوه والكلمة فارسية مركبة من لفظتين أحدهما جاشنا ومعناها الذوق والثانية كير ومعناها إي الذي يتذوق الطعام القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٧٨م . ج٤/ص٢١ــ٤٦، ج٥/ص٤٦٠ .

[١٢] ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٣٢.

[١٣] م.ن ج٦/ص٣٣٢

(١٤) دمياط :وهي مدينة تنيس ومصر وهي من ثغور الإسلام عندها يصب نهر النيل في البحر الحموي : شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٦٦م)، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩م .ج٢/ص٤٧٣ــ٤٧٤.

(١٥) المنصورة :بلد تقع على الدلتا المصرية بناها الملك العادل سنة ٦١٦هـ الحموي: م.ن ج٣/ص٣١٠.

(١٦)أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ،١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .ج٢/ص١٧٨ــ١٧٩.

(١٧) أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي (ت٦٦٥هـ/١٣٦٥م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، علق عليه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ج٣/ص٢٨٢، ،الحنبلي : شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ، ت١٠٨٩هـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق، ج٧/ص٤٦٤. حسن : حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ، ط١٤، دار الجيل ، بيروت ، ٢٤١٦هـ/١٩٩٦م .ج٤/ص٣٠٧ــ.٣٠٨

١٣

(١٨) العمري : ياسين بن خير الله (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م) ،مهذب الروض الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق : رجاء محمود ، دار الجمهورية ، بعداد ، ١٩٦٦م .ج١/ص٣٦٢.

(١٩) حصن كيفا : قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين أمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر : الحموي : معجم البلدان ج٤/ص٢٦٥.

(٢٠) أبو شامة : الذيل على الروضتين ج٥/ص٢٨٢.

(٢١) ابو شامة : الذيل ج٥/ص٢٨٤ــ٢٨٥، ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ،ط١، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م ج١٧/٣٠٧الزر كلي: الإعلام ج٢/ص٩٠.

(٢٢) النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م، نهاية الإرب في فنون الأدب ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٩٤٢م ،ج٤/ص٢١٢، الطباخ : محمد راغب الطباخ الحلبي ،أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، تعليق :محمد كمال ، ط٢، دار القلم العربي ، حلب ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٢/ص٢٢٠ــ٢٢١ .

(٢٣) أبو شامة : الذيل ج٥/ص٢٨٤ .

(٢٤) المقريزي : السلوك ج١/ص٣٦٢، العمري : روضة الفيحاء ج١/ص٣٨٤.

(٢٥) الصفدي: الواقي بالوفيات ، ج١٦/ص٧٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٧/ص٣٥٣، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٣٣.

(٢٦) السيوطي : حسن المحاضرة ج٢/ص٣٦ــ٣٧.

(٢٧) هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي شيخ الشافعية ولد سنة ٥٧٧هـ ، فقيه مفسر محدث قرأ الفقه غلى ابن عساكر سمع وروى عنه كثير ، وتولى إمامة وخطب المسجد الأموي ورحل إلى دمشق احتجاجا على استعانة الملك الصالح إسماعيل بالإفرنج سنة ٦٣٩هـ ووالاه الملك الصالح نجم الدين أيوب خطابة جامع عمر بن العاص .السبكي :أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت٧٧١هـ/١٣٦٩م ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د.عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجيزة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م . ج٨/ص٢٠٩، ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكتاني ، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق : د.علي محمد عمر ،ط١، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .ص٢٣٩.

(٢٨) المقريزي : السلوك ج١/ص٣٦٨ـ٣٦٩.

(٢٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٧١.

(٣٠) ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ت٦٩٩هـ/١٢٩٧م ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ج٢/ص٣٧٦.

(٣١) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ولد ٦٢٧هـ وحكم حلب ٦٣٤هـ ـ ٦٥٨هـ ودمشق ٦٤٨هـ ـ ٦٥٨هـ وقتل سنة ٦٥٨هـ . أبو شامة : الذيل ج٥/ص٢٣٦.

(٣٢) الذهبي : سير إعلام النبلاء ج٢٣/ص١٩٨، المقريزي : السلوك ج١/ص٣٦٨،٣٦٧.

(٣٣) المقريزي : السلوك ج٢/ص٣٦٨.

(٣٤) قلعة الجبل وهي الحصن الممتنع في جبل وجمعها قلاع وقلع واقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهي تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية ومدينة مصر والقرافة من الجهة القبلية الغربية والنيل في غربها وجبل المقطم من الجهة الشرقية وانشاها السلطان الملك الناصر صلاح الدين أيوب أول ملوك بني أيوب سنة ٥٧٢هـ وصارت من بعده دار الملك بديار مصر المقريزي :.ج٣/ص٣٤ـ٣٥.

(٣٥) أبو الفداء : المختصر ج٣/ص٤٥٦.

(٣٦) العيني : بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) ،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م . ج١/ص٣٢٠.

(٣٧) ابن آياس : أبو عبد الله محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ط٢، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ج١/ص٩٠.

(٣٨) يقال له مظفر الدين موسى وقيس ابن الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر ايوب إبن واصل : مفرج الكروب ج٢/ص٣٧٨.

(٣٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٧/ص٥ .

(٤٠) المقريزي : الخطط ج١/ص٢٣٨، الحنبلي : شذرات الذهب ج٧/ص٤٦٤

(٤١) م.ن ج١/ص٢٣٤ــ٢٣٧.

(٤٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٧٥.

(٤٣)ــ المقريزي : السلوك ج٢/ص٢٣٧.

(٤٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٧٩.

(٤٥) العيني :عقد الجمان ج١/ص٣٧٥.

(٤٦) ابن العماد : شذرات الذهب ج٥/ص٢٦٧.

(٤٧) العيني : عقد الجمان ج٢/ص١٨٦

(٤٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/ص٣٣٤.

(٤٩) المصدر السابق ج٦/٣٧٥.

(٥٠)ــابن كثير : البداية والنهاية ج١٧/ص٣٥٣، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/٣٣٦ــ٣٣٧ .

Biography tree Durr

M. IKHLAS ABBAS IDAN

Teacher training institute / Rusafa first

Abstract

The character study a great deal of important events in any era often make people whether man or woman either to be closer to the event and his motives because they live with him and so mixed their secrets and Khvaaahm Bserthm and their lives .

The tree Durr of important personalities, which took power on the throne of Egypt at the beginning of the Mamluk era, although it belongs to the era does not allow women to ascend the judgment , and is ruled transition rule between the Ayyubidand Mamluk State Marine,

Has been dealt with in the first section of her life, which included her name , attributed qualities, her, and led tree Durr an important role in the political life in the country Mamluk, has put a in the second part of its role in matters of war, allegiance and opposition to the tree Durr, waiving the throne, the conflict between Ayyubid Sultan APIC on Power , killing goats Epic, and then killing the tree Durr research has concluded the most important finding .